معركة بدر
السنة الثانية من الهجرة

حديثُنا سيكـون عن معركة هي أعظمُ المعارك في تـاريخ الإسلام، كيف لا ؟ وقد سماهـا القرآن الكـريمُ «يوم الفـرقان» وقـادها: خير البريـة رسول الله ﷺ، وكان جُندها: المسلمون، أفضل أمته من المهاجرين والأنصار.

في ذلك اليوم التقى الحق بالباطِل والتوحيـدُ بالشركِ، والإسلام بالوثنية، وفي ذلك اليوم حُطمت القوانين المادية فَغَلبتِ القلة الكثرة، واستبان للمسلمينَ على مـرِّ التـاريخ أن النصر مع العقيـدة وليس مع الكثـرة، وفي ذلك اليـوم العظيم نزلت جندُ الله التي يـؤيدُ بها عباده الصالحين، وتقَطَّعت كلُّ العلائق الـدنيوية فقاتل الأبُ ابنَهُ والأخُ أخاه، ولم يبق إلا رباطُ العقيدة يربط بين المسلمين، وباعَ كثير من المسلمين روحَه لله تعالى ليقبض الثمن العظيم، نصر في الـدنيا وجنة في الآخرة، وحصلت أمـور عظام وأحداث جسام، قد لا يستطيـع اللسان وصفها ولا القلم بيـانها وإنما سنذكـر إن شاء الله إشـارات لعل الله أن يجعل فيها ذكـرى للقلوب وعظة وعبرة للنفوس.

حدثت غزوة بـدر الكبرى في شهر رمضان من السنة الثانيـة للهجرة، بعد أن أذن الله سبحانه بقتال المشركين كافة.

فقـد بلغ رسـولَ الله ﷺ خبرُ عير لقـريش مقبلـة من الشـام فيهـا تجارة كثيرة صُحْبَة أبي سفيان بن حرب، فَنَـدَب الرسول ﷺ المسلمين للخروج لاعتراضها، مكتفيًـا بمن كان ظهـرُه حـاضرًا، ولم يستعد عليـه الصـلاة والسلام استعـدادًا بليغًا.

وخـرج رسـول الله مسرعًـا في ثـلاثمائةٍ وبضعـة عشر رجـلاً من المهـاجـرين والأنصار، ولم يكن معهم سـوى سبعين بعيرًا، فكان الرجلان والثـلاثة يعتقبان

البعير الواحد، وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام وعليُ بن أبي طالب ومَرْثَدُ ابن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيرًا، فلما جاءت عقبة رسول الله قالا نحن نمشي عنك ـ يطلبان منه أن لا ينزل من على البعير ـ فقال ﷺ: «ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما» فكان عليه الصلاة والسلام مثلهما يركب ويمشي، وهكذا حالُ بقية الأصحاب رضوان الله عليهم.

فاشترك أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف في بعير، وزيد بن حارثة وابنه وكبشة من موالي رسول الله في بعير، والمسير بإزاء طريق القوافل إلى بدر ليس سفرًا قاصدًا ولا نزهة لطيفة، فالمسافة بين المدينة وبدرٍ تربو على مائة وستين كيلاً ومع ذلك صبر الرسول وأصحابه على طول الطريق وصعوبته وقد كانوا في رمضان.

ودفع عليه الصلاة والسلام اللواء إلى مُصعبِ بن عمير، والراية الواحدة إلى علي بن أبي طالب، والأخرى التي للأنصار إلى سعد بن معاذ رضي الله عنهم أجمعين، ولما كان بالرَّوحاءِ على بعد أربعين ميلاً من المدينة، رَدَّ أبا لُبابة بن عبد المنذر واستعمله على المدينة، وسار الجيش الإسلاميُّ لا يبغي إلا العيرَ القادمة من الشام حتى وصلوا قرب الصفراء فأقام فيها وبعث الرسول ﷺ عيونه تتجسس أخبارها.

وعَلِمَ أبو سفيان بن حرب بمخرج رسول الله وقصده إياه، فأرسل إلى قريش مستصرخًا بهم ليمنعوهُ من محمد وأصحابه، وبلغ الصريخُ مكة فنهض المشركون مسرعين وخرجوا جميعاً لم يتخلف من أشرافهم أحد. سوى أبي لهب فقد أخرج رجلاً مكانه. وسارت قريش من ديارها كما قال تعالى: ﴿**بطرًا ورئاء الناس ويصدُّون عن سبيل الله**﴾ ٤٧ الأنفال، وأقبلوا كما قال رسول الله ﷺ: «بِحدِّهم وحَدِيدِهم تُحادُّه وتُحَادُّ رسوله». وعلم الرسول بمقدمهم كما علم بأن القافلة المطلوبة غيَّرت طريقها بعد أن اكتشف أبو سفيان موقع المسلمين، وهنا

استشار الرسـول ﷺ أصحابه، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشـارهم ثانيًا فتكلم المهـاجرون فأحسنـوا ثم استشارهـم ثالثًـا ففهمت الأنصار أنـه يعنيهم، فبادر سعـد بن معاذٍ فقال: يـا رسول الله كأنَّك تُعرِّض بنـا؟ وكان إنما يعنيهم، لأنهم بـايعوه على منعـه من الأحمر والأسود في ديـارهم، فقـال له سعـد: لعلك تخشى أن تكون الأنصـار ترى حقًا عليها أن لا ينصروك إلا في ديـارها وإني أقول عن الأنصـــار وأجيب عنهم: فـــاظْعَنْ حيثُ شئْتَ، وصِلْ حبـلَ من شئت، واقطع حبل من شئت، وخُـذْ من أمـوالِنـا مـا شئت، وأعْطنا مـا شئت، ومـا أخذت منا كان أحبَّ إلينـا مما تركت، وما أمرت فيه من أمـر فأمرنا تَبعٌ لأمرِك، فـــوالله لئن سرت حتـى تبلغ البرْك من غمـــــدان لنسيرنَّ معـك، ووالله لئن استعرضت بنا هـذا البحر خضناه معك، وقال المقـداد رضي الله عنه: لا نقول لك كما قال قوم مـوسى لموسى: اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنا هنا هُنـا قاعِدون، ولكنا نقـاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديـك ومن خلفك. وهنا أشرق وجهه ﷺ وسرَّه هـذا القول الصـادق والإيمان العظيم، وقال: «سيروا وابشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين وإني قد رأيت مصارع القوم».

والحقيقة أن صحابة رسول الله ﷺ لم يستعدوا للقتال والحرب، بل إن الرسول لم يستحث متخلفـا ولم يعزم على أحـد بالخروج، ولم يَدُرْ بخلـد واحد منهـم أنه مقبل على يوم من أخطـر أيام الإسلام، ولو علمـوا لاتخذوا الأهبة والاستعداد، ولئن فَتَرت الهمم بعـدَ سماع نبأ إفلات أبي سفيان وقـافلته فـلأجل ذلك، وليس جبنًا أو خوفًـا من العدو، ولذا زال هذا الفتـور بعد عزم الرسـول عليهم بالمسير، وانطلق الجميع خفـافًا إلى غـايتهم ما بين مهـاجر بـاعَ في سبيل الله نفسه ومـاله وأنصاري رَبَطَ مصيره وحـاضره بهذا الدين الـذي افتداه وآوى أصحابـه، وسار الجميع يقودهم المصطفى عليه الصـلاة والسلام حتى نزلوا قريبًـا من بدر، وبدأ الرسول ﷺ الاستعداد للمعركة وبعث عيونَه يلتمسون الأخبار فأدركوا رجلين من

سقـاة قريش فأحضروهما، وهُم لا يعـرفـونهما ثم سألوهما من أنتما؟ قـالا: نحن سقاة لقـريش، فكرهوا ذلك وودوا لو كـانا لعير أبي سفيان، وكان الـرسول ﷺ قائمًا يصلي فلما سلَّـم سألهما عن قريش وعـددها، ومن خـرج معها، فلما أعلماه قال ﷺ لأصحـابه: هـذه مكة قـد ألقتْ إليكم أفلاذ كَبِـدِها، وهكـذا حانت ساعـة اللقاء، وتأهب المسلمون للقتال، فنـزلوا على أدنى ماء من بـدر، ثم قال الرسول ﷺ: أشيروا عليَّ في المنـزل، وهنا تقدم الحباب بن المنـذر فقال: أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلَكَه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحربُ والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحربُ والمكيدة! مُنتهى الأدب من هذا الصحابي الجليل، خشي إن هـو أبـدى رأيـه قبل السـؤال أن يكـون معترضًـا على أمـر الله لرسولـه، وهكذا كل الصحابة رضـوان الله عليهم لا يخاطبون قائدهم إلا بأدب جم حتى لو طلب منهم المشورة، وبعد أن اطمأن الحباب أن الأمر متروك للرأي أبدى رأيه فأشار بتغيير المنزل والنزول عند آخـر بئر تجاه العدو وتغوير الآبار التي وراءه وبنـاء حـوض يُملأ بـالماء ليشرب المسلمـون ولا يشرب المشركـون، ووافق المصطفى عليه الصلاة والسلام ولم يجئ نصف الليل حتى تحولوا كما رأى الحباب وامتلكوا مواقع الماء.

وقضى المسلمـون ليلاً هـادئ الأنفاس، منير الآفـاق، غمرت الثقـة قلوبهم وأخذوا من الراحة قسطهم، وتساقط عليهم مطر خفيف طهرهم وأذهب الله به عنهم رجس الشيطـان ووطأ بـه الأرض، وصلَّب الرمل، فجعـل حركتهم عليـه ميسرة، قال تعالى: ﴿**إذ يغشيكم النعاس أمنة منـه وينزل عليكم من السماء ماءً ليُطهِّـركم به، ويـذهب عنكم رجـز الشيطان، وليربـط على قلوبكم ويثبت بـه الأقدام**﴾ [١١] الأنفال.

وبنى الصحابة لرسول الله عريشًا يكونُ فيه على تل يشرف على المعركة، وكان ﷺ يتفقد الرجـال وينظم الصفوف ويسدي النصائح ويذكِّر بـالله والدار الآخرة

ثم يعود إلى عريشه فيستغرق في الصلاة والدعاء الخاشع، ووقف أبو بكر إلى جوار الرسول وهو يكثر الابتهال والتضرع ويقول فيما يدعو به: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني انشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبدُ في الأرض» فمازال يهتف بربه، مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءَه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربَّك فإنه سينجز لك ما وعدك.

وهكذا ظل رسول الله ﷺ في دعاء وتضرع لله لا ينقطع، وظل المسلمون كذلك يستنصرون الله ويستغيثونه في تذلل وإخلاص، فاستجاب لهم ربهم وأوحى إلى ملائكته ﴿**إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب**﴾ [١٢] الأنفال، وأوحى الله إلى رسوله ﴿**أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين**﴾ [٩] الأنفال، وخرج ﷺ إلى أصحابه وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» وسار إلى موضع المعركة وجعل يشير بيده الشريفة، هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان إن شاء الله فما تعدى أحد منهم موضع إشارته عليه الصلاة السلام.

هذه حالة المعسكر الإسلامي تلك الليلة.. صلاة وعبادة ودعاء وتضرع.

ولنتجه إلى المعسكر الآخر.. معسكر الشرك والكفر لنعرف كيف حاله، لقد وصلت للمشركين الرسل من أبي سفيان تخبرهم بسلامة القافلة وتعرضُ عليهم الرجوع فقد انتهى سبب الخروج، وكادت قريش أن تعود لولا أن قام رأس الكفر أبو جهل وأصرَّ على المسير وقال: والله لا نرجعُ حتى نردَ بدرًا فنقيم عليه ثلاثًا فَنَنْحر الجزورَ ونُطعَمَ الطعام ونُسقَى الخمرَ وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدًا فامضوا.

منتهى البطر والمراءاة والصد عن سبيل الله تتجلى كلها في قولة أبي جهل

هذه، وعاقبة هذا شنيعة ووخيمة، ولذا قال أبو سفيان بعد ما علم بذلك: «واقوماه! هذا عمل عمرو بن هشام «يعني أبا جهل» كره أن يرجع؛ لأنه ترأس على الناس فبغى والبغي منقصة وشؤم، إن أصاب محمدٌ النفير ذللنا» وصحة فراسة أبي سفيان كما سنرى.

وشجع عدو الله إبليس قريشًا على الخروج ودفعهم إليه دفعًا حيث أتاهم في صورة شريف من أشراف العرب وقال لهم: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم، لكنه حينما رأى مددَ السماء ينزلُ في الأرض فرَّ ونكص على عقبيه وقال لهم: إني أرى ما لا ترون، وصدق الكذوبُ فقد رأى ملائكة الله وهم يؤيدون المسلمين ويقتلون المشركين.

وتحرك المنافقون والذين في قلوبهم مرض ليخذلوا المسلمين فاستقلوهم وأيقنوا بعقولهم المريضة أن النصر للكثرة الكافرة على القلة المؤمنة وقالوا: ﴿**غرَّ هؤلاء دينهم**﴾ [٤٩] الأنفال ولم يدركوا أن النصر إنما يكون بالتوكل عليه لا بالكثرة ولا بالعدد.

واستفتح أبو جهلٍ في ذلك اليوم وقال: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرفه فأحِنْهُ الغداة، اللهم أيُّنا كان أحب إليك، وأرضى عندك فانصره اليوم، فأنزل الله تعالى: ﴿**إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح. الآية**﴾ [١٩] الأنفال.

واستعدت جموع المشركين للمعركة وعزموا على القتال وكان عددهم كبيرًا ينيف على تسعمائة مقاتل ومعهم مائتا فرس، أي أنهم أكثر من ثلاثة أضعاف جيش المسلمين، ولكن الله عز وجل أراهم لرسوله قليلاً لا قوة لهم ولا وزنا ولا أثر رغم كثرتهم، فأعلم رسول الله ﷺ أصحابه بذلك فاستبشروا وتشجعوا على خوض المعركة، ودخلت الطمأنينة قلوبهم، وقد تكررت هذه الرؤية حين التقى الجمعان، فقد رأى كلُّ فريق أن خصمه قليل، فالمسلمون يرون أعداءهم قليلا، لأنهم يرونهم بعين الحقيقة والواقع، والمشركون يرونهم قليلاً بعين الظاهر،

ليتحقق بذلك التدبيرُ الإلهي ويلتقي الجمعان ويقضي الله أمرًا كان مفعولا. وقام رسول الله ﷺ في جند الإسلام يعظِهم ويذكرهم بمالهم في الصبر والثبات من النصر والظفر وثواب الله الآجل، وأخبرهم أن الله قد أوجب الجنة لمن استشهد في سبيله، فقام عمرو بن الحمام فقال: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال نعم، قال بخ بخ يا رسول الله وكان في يده تمرات يأكلهن، فرماهنَّ وقال: ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، وقد قاتل رضي الله عنه حتى قتل، وهذا هو المحرك والدافع.. إنه العقيدة الصادقة والإيمان الذي لا يتزعزع بموعود الله لأوليائه وشتان بين من يقاتل لهدف أخروي سام، وبين من يقاتل لأجل الدنيا وزخارفها. إن الأول يقاتل ليموت ويحصل على ثوابه وأجره، والآخر يقاتل ليحيا ويتمتع بدنياه التي قاتل لها ومن أجلها، ولذا لا يثبت من هدفه دنيوي إذا عاين الموت حتى لا يفوته هدفه.

ووقف رسول الله عليه الصلاة والسلام أمام العدو وأخذ ملء كفه من الحصباء فرمى بها وجوههم فلم تترك رجلاً إلا ملأت عينيه وشغلوا بالتراب في أعينهم، وقال لهم ﷺ شاهت الوجوه، وأمر أصحابه فقال: شدوا، وذلك في يوم السابع عشر من رمضان المبارك.

وابتدأت المعركة بالمبارزة فخرج عُتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار، فقالوا لهم: من أنتم؟ فقالوا: من الأنصار، قالوا: أكفاء كرام، وإنما نريد بني عمِّنا، فبرز إليهم علي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليهم فقتل علي قِرنة الوليد، وقتل حمزة قِرنه عتبة، وقيل شيبة، واختلف عبيدة وقرنه ضربتين، فكرَّ حمزة وعلي على قرن عبيدة فقتلاه، واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله فلم يزل جريحًا حتى مات بعد ذلك رضي الله عنه.

وكان علي رضي الله عنه يقسم بالله لَنَزَلَتْ هذه الآية فيهم: ﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾ الآية [١٩] الحج كما يروي ذلك البخاري وغيره.

واستشاط الكفار غضبًا للبداية السيئة التي صادفتهم، فأمطروا المسلمين وابلاً من سهامهم ثم حمي الوطيس فأمر الرسول أصحابه أن يردوا هجمات المشركين من مواقعهم وقال: «إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل، وهكذا استنفد المسلمون جهد أعدائهم، وألحقوا بهم خسائر جسيمة، ثم التحم الجيشان واستبسل جند الرحمن أمام عدو يفوقهم عددًا وعدة.

روى البخاري ومسلم وغيرهما أن عبد الرحمن بن عوف قال: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتُّ فإذا عن يميني وعن يساري فَتيَان حديثا السن، فكأني لم آمنْ بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه، يا عم، أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونَه، وقال لي الآخر سرًّا من صاحبه مثله، قال عبد الرحمن: فما سرني أنني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين فضرباه حتى قتلاه، وهما ابنا عفراء رضي الله عنهم أجمعين، وقد استشهدا بعد أن حققا هذه الأمنية في سبيل الله. وهكذا تكون همم الشباب المسلم وهكذا تكون عزائمهم، إنهما قدوة ومثل صالح لشباب المسلمين كافة فأين المقتدون؟

ولنستطرد في ذكر صور البطولة والشجاعة والإقدام وصور الإيمان الصادق العظيم فوالله إنها أخبار لا تُمَلُّ ولا تبلى بكثرة السماع وتكرار القراءة، إنها أخبار محمد وصحبه وهم يبنون العقيدة وينشرون الدين ويحطمون الجاهلية والشرك لتبقى نموذجا يحتذى ومثلا يقتدى ودرسًا يستذكر في كل زمان ومكان.

روى ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ عدَّل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قَدْحٌ (أي سهم) يعدِّل به القوم فمر بسوَّاد بن غَزِية وهو مُسْتَفْتِلٌ من الصف (أي متقدم) فطعن في بطنه بالقدح وقال: استو يا سوَّاد، فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل، قال: فأقْدني (أي أقتص منك) فكشف المصطفى ﷺ عن بطنه وقال: استقد، قال: فاعتنقه فقبَّل بطنه فقال: ما

حملك على هذا يـا سوّاد؟ قـال يا رسول الله حضر مـا ترى فأردت أن يكـون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك، فدعا له رسول الله بخير.

وسأل عـوف بن الحارث ـ وهـو الابن الثالث لعفـراء ـ رسـول الله فقال: مـا يُضحك الربَّ من عبده قال ﷺ: غمسُه يده في العدوِّ حاسرًا، فنزع درعًا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل رضي الله عنه.

وقاتل عُكَّاشة بن مِحْصَن يومَ بـدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله عليه الصـلاة والسلام، فأعطاه جذلاً من حطـب فقال: قاتل بهذه يا عكّـاشة فلما أخذه من رسول الله هزّه فعاد سيفا في يـده طويلَ القامة، شديد المتن أبيض الحديـدة، فقـاتل بـه حتى فتح الله تعـالى على المسلمين، وبقي عنـده حتى استشهد في قتال المرتدين. ورُمي حـارثة بن سراقة بسهم وهو يشربُ من الحوض فأصاب نحره فمات.

وثبت في الصحيحين عن أنس أن حارثة قتل يوم بـدرٍ، فجاءت أمه فقالت: يـا رسول الله أخبرني عن حـارثـة، فإن كـان في الجنة صبرت وإلا فليرين الله مـا أصنع ـ يعني مـن النياح ـ وكـانت لم تُحرَّم بعد: فقـال لها رسول الله ﷺ: ويحك أهبلتِ؟ إنها جنان ثمان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى.

وتتـوالى صور البطـولـة الفذة، ومـواقف الـرجولـة النـادرة، تحركها العقيـدة ويدفعها الإيمان في مشاهد لم تعهدهـا الإنسانية من قبل فهذا معاذ بن عمرو بن الجموح يضرب أبا جهل حينما رآه، وقـد أطافت به صناديدُ قـريش فيقطع ساقه من نصفها ثم يتلقى رضي الله عنه ضربة من عكرمة بن أبي جهل، أطاحت بيده وتعلقت بجلـدة من جنبه يقـول رضي الله عنه: ولقـد قاتلت عـامَّة يـومي وإني لاسحبها خلفي (أي يـده) فلما آذتني وضعتُ عليها قـدمي ثم تمطَّيت بها عليها حتى طرحتُها، نعم تخلص من يده المبتورة حتى يتفرغ للقتال بيده الأخرى.

ويطولُ بنا المقام لو تتبعنا كل صور البطولة في يوم بدر العظيم، ولكنها نماذج

نعرضها لعلها تحرك في الأمة ما سكن، وتشعل ما خبئ لتعود لها العزة والمنعة ولتسير في طريق النصر المظفر إن شاء الله كما سار فيه صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام مستلهمين من هذه الغزوة العظيمة الدروس والعبر.

وانعقد الغبار فوق رؤوس المقاتلين وهم بين كر وفر. جند الحق يستبسلون لنصرة الرحمن، وجند الباطل قد ملكهم الغرور فأغراهم بأن يغالبوهم، وهنا نزلت ملائكة الله لتثبيت المؤمنين وضرب المشركين، روى ابن كثير ـ رحمه الله ـ أن رسول الله ﷺ خفق خفقة في العريش ثم انتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجرٌ بعمامته آخذٌ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع، أتاك نصر الله وعدته». وروى ابن اسحاق عن ابن عباس قال: كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرخوها على ظهورهم، إلا جبريل فإنه كان عليه عمامة صفراء، وقال سهيل بن عمرو لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضا على خيل بُلق بين السماء والأرض معلَّمين يقتلون ويأسرون، وكان أبو أسيد رضي الله عنه يحدّث بعد أن ذهب بصره ويقول: لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري لأريتكم الشِّعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أمتري وكانت الملائكة يومئذ تبادر المسلمين إلى قتل أعدائهم.

أخرج مسلم أن ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتدُّ في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول أَقْدِم حَيْزُوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقيًا، فنظر إليه، فإذا هو قد خُطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدَّث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة».

وقال أبو داود المازني: «إني لأتبع رجُلاً من المشركين لأضربه إذ وقَعَ رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري» رواه الإمام أحمد، وروى أيضا أن رجلاً من الأنصار أتى بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا فقال العباس: إن هذا

والله مـا أسرني، لقد أسرني رجـل أجلح، من أحسن النـاس وجهًا، على فـرس أبلق ما أراه في القوم، فقـال الأنصاري: أنا أسرته يـا رسول الله فقال: «اسكت فقد أيدك الله بملك كريم».

ولقـد حاز مـلائكة الـرحمن على تلك المزيـة التي حازهـا صحـابة رسـول الله البدريين، فقـد روى البخاري أن جبريلاً أتـى رسول الله ﷺ فقال: مـا تعدون أهل بدرٍ فيكم؟ قـال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحـوها قـال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة.

وتظـافرت عـوامل النصر وتحققت شروطـه فأنـزله الله على جنـده ذلك اليـوم وفتحوا عيـونهم على بشاشـة الفوز تضحك لهم خـلال الأرض والسماء، إن هذا النصر العظيم ردَّ عليهم الحياة والأمل والكرامـة وخلصهم من أغلال ثقال، قال تعالى: ﴿**ولقد نصركم الله ببـدرٍ وأنتم أذلة فاتقـوا الله لعلكم تشكرون**﴾ [١٢٣] آل عمران.

وهكذا وهت صفـوف المشركين تحت مطارق الإيمان الـزاهد في متاع الـدنيا، وانكسرت قـريش وأخـذهـا الفزع، وحـاول أبـو جهل أن يـوقف سيل الهزيمـة بصرخـاته المستميتـة، ولكن أنّى له ذلك، فـوقع صريعًا بسيـوف المسلمين، ثم جـاءه عبد الله بن مسعـود فأخـذ يهوي عليه بسيفـه حتى خمد، ولقي مثل هـذا المصير سبعون صنـديدًا من رؤوس الكفر بمكة، دارت عليهم كـؤوس الردى، فتجـرعـوها صـاغـرين، وسقط في الأسر مثلهم، وفـر بقيـة الجيش يـروون لمن خلفهم أن الظلم مرتعه وخيم، وأن البطر يجرُّ في أعقابه الخزي والعار.

واستشهد مـن المسلمين أربعة عشر رجلاً استـأثرت بهم رحمة الله فـذهبوا إلى عليين. وعندمـا رأى رسول الله ﷺ قتلى المشركين، أمر بهم فطُـرحوا في القليب، فلما كان منتصف الليل خرج إليهم وقال لهم: «يـا أهل القليب يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة يا أمية بن خلف يـا أبا جهل بن هشام ـ فعدد من كان منهم في

القليب ـ هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا» فقال المسلمون: يا رسول الله أتنادي قومًا قد جيَّفوا؟ فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنَّهم لا يستطيعون أن يجيبوني» وناداهم في قليبهم: «يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس».

وأهيل التراب على رفاتهم واستراح المسلمون من شرورهم، إلا أن النبي ﷺ استعاد ماضيه في جهاد أولئك القوم، كم عالج مغاليقهم وحاول هدايتهم، وكم ناشدهم الله وخوفهم عصيانه، وتلا عليهم آياته وقرآنه، وهم على طول التذكير يتبجحون وبالله وآياته ورسوله يستهزئون.

وأقام رسول الله وأصحابه ببدرٍ ثلاثا، يحمد الله ويشكره، ويثني عليه ويعبده ثم قفل راجعًا إلى المدينة يسوق أمامه الأسرى والغنائم، وأرسل بالبشرى إلى أصحابه في المدينة ووصل الخبر بالنصر العظيم.

وشُدِه العربُ قاطبة للنصر الحاسم في بدر، واستنكر أهل مكة الخبر وحسبوه هذيان مجنون، فلما استبان صدقه، صعق نفر منهم فهلك لتوه، وماج بعضهم في بعض من هول المصاب لا يدري ما يفعل.

لقد كانت معركة بدر تأييدًا ودعمًا لدولة الإسلام فقد مكنت للإسلام وأهله وجعلت سلطانهم مهيبًا في المدينة وما حولها، وسمع بهم كل العرب في جزيرتهم.

وتمخضت معركة بدرٍ عن دروس وعبر، هي للمسلمين في كل زمان ومكان كما هي لأصحاب رسول الله. لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الموقعة فرقانًا بين الحق والباطل وفرقانا في خط سير التاريخ الإسلامي، ومن ثم فرقانا في خط سير التاريخ الإنساني. لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يعرف المسلمون على مدى التاريخ عوامل النصر والهزيمة وأنها منه عز وجل، لئلا يجعل المسلمون

للمادة أثرًا أكبر من حجمها في ذلك كلِّه، ولكي يعلموا أن النصر ليس بالعدد وليس بالعدة، وليس بالمال والخيل والزاد، إنما هو بمقدار اتصال القلوب بقوة الله التي لا تقف لها قوة العباد، وذلك كلُّه عن تجربة واقعية، لا عن مجرد تصور واعتقاد ألا إن غزوة بدر لتمضي مثلاً في التاريخ البشري، ألا وإنها تقرر دستور النصر والهزيمة، وتكشف عن أسبابهما، الحقيقية لا الظاهرية المادية، وهي بهذا كتاب مفتوح تقرؤه الأجيال في كلِّ زمان وفي كل مكان، لا تتبدل دلالتها ولا تتغير طبيعتها، فقد خلّدها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز.

وإنه لجدير بالمسلمين اليوم أن يقفوا طويلاً أمام بدرٍ وقيمها الحاسمة التي تقررها، ففي تلك المعركة التقى الآباء بالأبناء والإخوة بالإخوة، وخالفت بينهم العقيدة وفصلت بينهم السيوف، وغاضب الإبن المؤمن أباه الملحد، فلا مجال للعلاقات والصلات الدنيوية إذا اختلفت العقيدة.

وفي هذه الغزوة أراد الله أن يُريَ المسلمين مدى الفرق بين ما أرادوه لأنفسهم وما أراده الله تعالى لهم بل للبشرية كلها، فقد أرادوا المتاجر والعير، وأراد الله لقاء النفير، ليرى المسلمون على مدِّ البصر مدى ما بين إرادتهم بأنفسهم وإرادة الله بهم ولهم من فرق كبير، وليعلموا أن الخير دائمًا فيما اختاره الله سبحانه، فالمعركة بجملتها كما يسجل القرآن الكريم من صنع الله وتدبيره، بقيادته وتوجيهه، بعونه ومدده، بفعله وقدره له وفي سبيله عز وجل، أبلوا فيها بلاءً حسنًا فاستحقوا الأجر والثواب.

المصادر والمراجع:

١ ـ عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين.

٢ ـ ابن عبد البر النمري: الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف.

٣ ـ الحافظ ابن كثير: سيرة الرسول ﷺ، من كتاب البداية والنهاية جـ ٢، ٣.

٤ ـ ابن قيم الجوزيه: زاد المعاد في هدي خير العباد ج ٣ تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط.

٥ ـ سيد قطب: في ظلال القرآن، تفسير سورة الأنفال.

٦ ـ محمد الغزالي: فقه السيرة.

٧ ـ مهدي رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ط (١) الرياض.

فتح مكة المكرمة
السنة الثامنة من الهجرة

حديثنا سيكون عن الفتح الأعظم، فتح مكة المكرمة، وانتصار الحق وإزهاق الباطل، سيكون عن العودة المظفرة لمحمد وصحبه إلى بلدهم وقد أخرجوا منه قبل ثمان سنين مضت، قضاها ﷺ في جهادٍ متواصل، وتبليغ للدعوة مستمر، وقضاها كفار قريش في عناد وحرب للدعوة وصاحبها ولكل من اعتنقها وآمن بها.

لقد حُرم المسلمون ومعهم رسول الله ﷺ من زيارة بيت الله وحجه والاعتمار فيه، ووقفت قريش تمنعهم حينما أرادوا ذلك في السنة السادسة من الهجرة، ورضي الرسول عليه الصلاة والسلام بالعودة إلى المدينة بعدما عقد معهم «صلح الحديبية» وظل ﷺ حتى السنة الثامنة من الهجرة وفيًا لشروط ذلك الصلح فيما أحبَّ المسلمون وفيما كرهوا، حتى أن المشركين أقروا له بهذا الوفاء الذي لم تعهده جاهليتهم.

وفي السنة الثامنة من الهجرة نقضت قريش بنفسها ذلك العهد فأصبح بعد ذلك لاغيًا؛ لأنها ظلت جامدة على كفرها وعنادها غير واعية للأحداث الخطيرة التي غيرت الأحوال في الجزيرة العربية وتوشك أن تغيرها في العالم كله، بعدما أقبل الناس على دين الله يعتنقونه ويؤمنون به، ويدعون له ويدافعون عنه.

في ذلك العام، اعتدت قبيلة بني بكر وهم حلفاء قريش، على خزاعة وهم حلفاء المسلمين فقتلوا منهم عددا كبيرا وقريش تمدهم بالسلاح وتعينهم على البغي في الحرم سرا، وعلى الرغم من أن عقلاء بني بكر حذروا زعيمهم من القتال في الحرم وقالوا له: إلهك إلهك، إلا أنه تمادىٰ وقال: لا إله لي اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فلعمري إنكم لتسرقون فيه أفلا تصيبون ثأركم فيه؟ واستمرت المقتلة في حرم الله باشتراك رجال من قريش.

وفزعت خزاعة لما حل بها، وبعثت إلى رسول الله ﷺ وفدًا يستغيث به ويعلمه الخبر، ودخل عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله في مسجده بالمدينة وهو بين ظهراني أصحابه وقال:

يا ربِّ إني ناشدٌ محمدا ... حِلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولدًا وكنا والدا ... ثمتَ أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا ... وادعُ عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ... أبيض مثل البدر، يسمو صعدا
إن سيم خسفا وجهه تربدا ... في فيلق كالبحر يجري مزبدا
إنّ قريشا أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا ... وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل، وأقل عددا ... هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركَّعا وسُجَّدا

فلما سمع منه الرسول ﷺ قال له: نُصِرْتَ يا عمرو بن سالمٍ، ثم عَرَضَتْ سحابة لرسول الله ﷺ فقال: إنَّ هذه السحابة لتستهِلُّ بنصر بني كعب، وأمر الناس بالجهاز وكتمهم مَخْرجه وسأل الله أن يعمي على قريش خبره حتى يَبْغَتَهُمْ في بلادهم.

وأحست قريش بفادح عملها وخطأ مسلكها مع حلفاء رسول الله ولكن بعد فوات الأوان، وخرج أبو سفيان إلى المدينة يصلح ما أفسده قومه ويحاول أن يعيد للعقد الذي أهدر حرمته، ووصل إلى المدينة فذهب إلى ابنته أمِّ حبيبة وأراد الجلوس على فراش رسول الله ﷺ فطوته عنه، فقال يا بنية! ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ فقالت رضي الله عنها: بل هو فراش رسول الله وأنت مشرك نجس، فقال: والله لقد أصابك بعدي شر.

ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلَّمه، فلم يَرُدَّ عليه شيئا، ثم ذهب إلى أبي بكر ليستشفع به عند رسول الله في هذا الشأن فرفض، فتركه إلى عمر فقال

عمر: أنا أشفع لكم عند رسول الله ﷺ؟ والله لـو لم أجد إلاّ الذرَّ لجاهدتك به، فتركهما إلى علي فقال: ويحك يا أبا سفيان لقـد عزم رسول الله على أمرٍ ما نستطيع أن نكلِّمه فيه. وفشلت كلُّ مسـاعي أبي سفيان وعاد إلى مكة وأمـر الرسول ﷺ وأصحابه بالمسير فاستمعوا لأمره وهم يـدركون أن الساعة الفاصلة مع أهل مكة قد حانت.

وسار الجيش المظفـر تكلؤه عنايـة الله، وفي الطريق إلى مكـة أرسل الصحابي الجليل حـاطبُ بن أبي بلتعة إلى قـريش يخبرهم بمقـدم جيش المسلمين، وأعلم الله نبيه بذلك، فأمـر اثنين من أصحابه أن ينطلقا إلى روضة خـاخ ليجدا ظعينة معهـا كتاب حـاطب، ولحق بها الصحـابيان الجليـلان وأخـذا منها الخطـاب، واعتذر حـاطب لرسـول الله فقبل عذره لصـدقه رضي الله عنـه، إلا أن عمر بن الخطاب قـال: دعني يا رسـول الله أضرب عنقه فإنـه قد خـان الله ورسولـه وقد نافق، فقال ﷺ: «إنه قد شهد بـدرًا وما يدريك يا عمرُ، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقـال: اعملوا مـا شئتم فقد غفرت لكم» فـاستسلم عمر لـرسول الله وذرفت عيناه رضي الله عنه وقال: الله ورسوله أعلم.

ثم مضى رسول الله ﷺ وهـو صائم والناس صيـام، حتى إذا كانوا بالكُـديد أفطر وأفطر الناس معه، ووصل الجيش الإسلامي إلى مرِّ الظهران فنزل هناك.

أمـا قريش فقـد سرى فيهـا القلق والترقب بعـد أوبة أبي سفيـان، وعمَّى الله الأخبـار عنهـا، وأسلم جمع منهم وهاجـر فلقي رسـول الله في الطـريق، ومنهم العباس بن عبد المطلب وعياله وأهلـه، كما خرج أبو سفيان بن الحارث وهو ابن عم رسول الله وعبـد الله بن أمية وهو ابـن عمته وكانـا من أشد الناس عـداوة له بمكة، وأكثـرهم له إيـذاءً فلقياه ﷺ فأعـرض عنهما، فأشار علي بن أبي طـالب رضي الله عنه على ابن عمـه أبي سفيان بأن يأتي رسول الله من وجهه وأن يقـول له كما قال إخوة يوسف ليوسف ﴿**تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين**﴾ [٩١ يوسف ـ ففعل ذلك أبو سفيان فقال له رسول الله ﴿**لا تثريب عليكم اليوم يغفر**

الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ [٩٢] يوسف فأنشده أبو سفيان شعرًا ختمه بقوله:

هداني هاد غير نفسي ودلّني على الله من طرَّدته كل مطرّد

فضرب رسول الله على صدره وقال: «أنت طرَّدتني كلَّ مُطرَّد» وحسن إسلامه بعد ذلك، ويقال إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ منذ أسلم حياءً منه.

وفي مرِّ الظهران انتشر جيش الإسلام المظفر، وأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام أصحابه العشرة آلاف بإيقاد النيران، فأوقدت عشرة آلافِ نار فأضاء منها الوادي، وجعل رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الحرس، وعَزَّ على العباس بن عبد المطلب أن تجتاح مكة في قتال يتفانى فيه أهلها ولا يغنيهم فتيلا، فخرج على بغلة رسول الله البيضاء، لعله يجد بعض الحطَّابة أو أحدًا يخبر قريشًا ليخرجوا يستأمنون رسول الله ﷺ قبل أن يدخلها عنوة، فبينما هو يسير إذْ سمع أبا سفيان بن حرب وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان فعرفهما العباس وأخبرهما أن هذا رسول الله ﷺ في جند الإسلام، وعرض على أبي سفيان أن يركبه معه إلى رسول الله، فسارا على بغلته البيضاء لا يعترضهما المسلمون، وفي الصباح، قابل رسول الله ﷺ أبا سفيان فقال له: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ قال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك، وأوصلك، لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئا بعد، قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنِّي رسول الله؟ قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيئا، فقال له العباس: ويحك أسلم، فأسلم وشهد شهادة الحق، فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا، قال: «نعم: من دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن»، وهكذا أعطاه رسول الله ما يُرضي فخره بما لا يضر أحدًا ولا

يكلف جهـدًا، وتحبَّب إليـه بهذا الثمـن الميسـور، وأوصى العبـاس بـاحتجـازه بمضيق الوادي ومرت القبـائل براياتها، وكلـما مـرت قبيلـة قال أبـو سفيـان: يا عباس من هؤلاء: فأقول سُليم، فيقـول مالي ولسُليم، حتى نفذت القبائل ما تمر قبيلة إلا ويسأل عنها فإذا أخبره العباس قال: مـالي ولبني فلان، حتى مرَّ به رسـول الله ﷺ في كتيبته الخضراء، فيهـا المهـاجـرون والأنصار لا يُـرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: سبحان الله يا عبـاس من هؤلاء قلت: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصـار: قال ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة، ثم قـال: والله يا أبا الفضل لقد أصبـح مُلك ابن أخيك اليوم عظيماً قـال: قلت يا أبـا سفيان: إنها النبوة، قال: فنعم إذاً قـال قلت: النجاء إلى قومك، وعاد أبو سفيـان إلى قومه ينذرهم ويحذرهم ويدعوهم إلى التسليم.

ودخل أبـو سفيـان مكة منـذرًا ومحذرًا، وهـو يُحِسُّ أن وراءه قـوة إن تحركت اجتاحـت ما أمـامها، فصرخ في قـومه قائلا: يـا معشر قريـش، هذا محمـد قد جـاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيـان فهـو آمن، فقامت إليـه هندُ بنت عتبة ومسكت به وقـالـت: اقتلوا الحميت الدسم الأحْمَش الساقين قُبِّحَ من طليعة قوم، فقال أبو سفيـان: ويلكم، لا تغرُنَّكم هذه من أنفسكم فإنه قد جـاءكم مـا لا قبل لكم بـه، من دخل دار أبي سفيـان فهـو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن قـالوا: قاتلك الله وما تغني عنـا دارُك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهـو آمن. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد، وأصبحت مكـة وقد قيَّد الرعـب حركتهـا، واختفى رجالها وراء الأبـواب المغلقة، أو اجتمعـوا في المسجد الحرام يـرقبـون الأحداث وهم واجمون، وزحف الجيش المنصـور ورسـول الله على ناقته تُتَـوِّج هامته عمامة دسماء ورأسه خفيض من شـدة التخشع لله، وبدا عليه التواضع الجمُّ حتى كاد عُثْنُونُـه يمس واسطة الرحل، وسار في وسط جيش دارع ينتظر منـه إشارة فلا يبقى بمكة شيء آمـن، ولكنه ﷺ آثر أن يدخلهـا في هدوء

وتواضع، حتى إنه أخذ الراية من سعد بن عبادة حين علم أنه يقول: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذلَّ الله قريشًا، ودفعها لابنه قيس وقال: «بل اليوم يوم تعظَّمُ فيه الكعبة، اليوم يوم أعز الله فيه قريشًا».

وتذكر رسول الله ﷺ الماضي الطويل كيف خرج مطاردًا، وكيف خرج أصحابه مهاجرين واليوم، يعود منصورًا مؤيدًا في الفتح العظيم، ودخل مكة من أعلاها وأمر أصحابه بألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، فدخلت بقية الفرق من أنحاء مكة الأخرى، ودخل خالد بن الوليد من أسفل مكة ولقي شبابًا من قريش قد غاظهم هذا الاستسلام من آبائهم، فتجمعوا عند الخَنْدَمة يقودهم عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمروٍ وصفوان بن أمية، ولكنهم فوجئوا بقوة لا قبل لهم بها فقد حصدهم خالد وجنده حصدًا فلاذوا بالفرار، ولم تُغْنِ أسلحة حِماس بن قيس عنه شيئا وكان قد أعدَّها منذ زمن بعيد لمحمد وأصحابه وقد وعد زوجته أن يخدمها بعضهم، لكنه خرج منهزمًا إلى بيته طالبًا من زوجته أن تُغلق عليه الباب فقد رأى ما لم يعهده من قبل.

وهكذا استسلمت مكة، وعَلَتْ كلمة الله في جنباتها، ووصل رسول الله إلى البيت العتيق، فاستلم الحجر وطاف وفي يده قوس طعن به أصنام قريش وهو يردد: ﴿**جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**﴾ [٨١] الإسراء.

ودخل الكعبة فطهَّرها من الصور والأصنام، وصلى فيها ركعتين ثم أقبل على قريش وقد اصطفوا حول الكعبة فقال لهم: «لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا خيرًا. أخ كريم، وابن أخ كريم، قال فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء» وأمر ﷺ بلالاً أن يصعد على الكعبة فيؤذن فارتفع نداء الحق في بيت الله الحرام وأذعنت له رقاب القوم فأقبلوا يسلمون ويعتذرون.

وخطب رسول الله في الناس فأكَّد حرمة مكة إلى يوم القيامة.

وخشي الأنصار أن يفارقهم رسول الله بعد أن فتح الله بلده ووطنه فيقيم فيها، وعلم رسول الله ﷺ بما تخوفوه فقال لهم: «معاذ الله. المحيا محياكم والممات مماتكم» وقرت أعينهم بذلك واطمأنت نفوسهم.

وفي يوم الفتح ترجع بنا الذكريات إلى رجال لم يشهدوا هذا النصر المبين، ولم تسمع آذانهم صوت بلالٍ يرنُّ فوق ظهر الكعبة بشعار التوحيد، ولم تر أعينهم الأصنام مكبوبة على وجوهها، ولم تقر نفوسهم بإسلام أهلها وانقيادهم، لقد قتلوا أو ماتوا إبان المعركة الطويلة بين الإيمان والكفر، فجزاؤهم مكفول عند من لا تضيع عنده الأعمال.

وهكذا دخل أهل مكة في الإسلام، وذهبت القوة التي تحمي الوثنية وتقاتل دونها، وكان ذلك إيذانًا بانتشار التوحيد في كل أرجاء الجزيرة، بل وفي كل بقاع الأرض.

وظلَّ رسول الله ﷺ في مكة طيلة رمضان، يبعثُ السرايا إلى الأصنام فتحطمها، وينقاد عُبَّادها إلى دعوة الحق مذعنين، فقد فتح الجميع أعينهم فإذا هم أمام الأمر الواقع، حتى خيّل لهم أن النصر معقود بألوية الإسلام لا ينفك عنها أبدًا.

المصادر والمراجع:

١ ـ عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون.

٢ ـ ابن عبد البر النمري: الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف.

٣ ـ الحافظ ابن كثير: سيرة الرسول ﷺ، من كتاب البداية والنهاية جـ ٢، ٣.

٤ ـ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد جـ ٣ تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط.

٥ ـ سيد قطب: في ظلال القرآن.

٦ ـ محمد الغزالي: فقه السيرة.

٧ ـ مهدي رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ط (١) الرياض.

وقعة البويب
سنة ثلاث عشرة هجرية

بعد وفاة المصطفى ﷺ، وتولي أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة من بعده، اجتهد رضي الله عنه في تبليغ دين الله وإيصاله إلى كل الناس، وقابلته في أول خلافته مشكلة المرتدين، ولكن الله أعانه فهزمهم وردهم إلى حظيرة الإسلام، ثم تفرغ للفتح ونشر الإسلام، فأرسل الجيوش الإسلامية تنشر دين الله في المشرق والمغرب وتحمس المسلمون لهذا الأمر، وبدأوا يوجهون الضربات القاتلة والهزائم الساحقة للدولتين العظميين آنذاك فارس والروم، وحينما مرض الصديق رضي الله عنه مرض الموت في السنة الثالثة عشرة من الهجرة كان مطمئنًا على ما حقق من فتوح وانتصارات، ومع ذلك استدعى خليفته الفاروق عمر وأوصاه وهو يجود بأنفاسه وقال له: «إني لأرجو أن أموت من يومي هذا، فإن أنا مت فلا تمسين حتى تَنْدُبَ الناس مع المثنى وإن أنا تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تَنْدُب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم، وقد رأيتني مُتَوَفَّى رسولِ الله ﷺ وما صنعت، ولم يصب الخلق بمثله» وهكذا لم يشغله المرض، بل الموت عن الدعوة ونشر الإسلام فكانت آخر وصاياه رضي الله عنه، ومات من يومه، فلما فرغ عمر من دفنه بدأ من فوره بتنفيذ الوصية وهي ندب الناس مع المثنى لفتح العراق، واستثقل المسلمون هذا الأمر فظل ثلاث ليال لا يستجيب له أحدٌ لما يعرفون من شدة قتال الفرس وعظيم بأسهم، وهنا قام القائد المسلم المثنى بن حارثة الشيباني فقال: «أيها الناس لا يعظُمنَّ عليكم هذا الوجه فإنا قد فتحنا ريف فارس، وغلبناهم على شقي السواد، ونلنا منهم واجترأنا عليهم ولنا إن شاء الله ما بعدها» والمثنى واحد من عظماء القادة المسلمين حقق الله على يديه للإسلام والمسلمين انتصارات عظيمة

ومنها انتصارهم في موقعة البويب التي حدثت في شهر رمضان من السنة الثالثة عشرة للهجرة.

وقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخطب مستحثا المسلمين، وكان مما قاله: «أين الطرّاء المهاجرون عن موعود الله، سيروا في الأرض التي وعدكم الله أن يورثكموها فإنه قال: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ [٢٨] الفتح، والله مظهر دينه، ومعز ناصره، ومولي أهله مواريثَ الأمم، أين عباد الله الصالحون؟»

أثرت هذه الكلمات البليغة في جموع المسلمين فتسابقوا للإجابة، وكان أول مجيب هو أبا عبيد بن مسعود الثقفي، ثم تتابع الناس حتى كثروا، وطلبوا من الخليفة عمر أن يوليَ أحد المهاجرين أو الأنصار قائدًا لهم، فقال: لا والله لا أفعلْ، وأمَّر عليهم أول المجيبين أباعبيد الثقفي، وأوصاه فقال: اسمع من أصحاب رسول الله ﷺ وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعًا حتى تتبين، فإنها الحربُ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث، وأوصاه بجنده، ثم سار الجيشُ الإسلامي على بركة الله إلى العراق، فكانت واقعة النمارق أول المعارك لهم مع الفرس، فحققوا فيها انتصارًا عظيمًا ثم كان يوم الجسر حيث حشد الفرسُ جيشًا كثيفًا تتقدمه الفيلة، وأقبلوا على المسلمين وحال نهرُ الفرات بين الجانبين، وأرسل قائد الفرس لقائد المسلمين أبي عبيد: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم، وعقد أبو عبيد مجلسًا حربيًّا للمشاورة في الأمر حسب وصية الخليفة وحسب تعاليم الإسلام، وأشار أصحابه عليه بعدم العبور وأن يترك الفرس يعبرون إليهم، ولكنه خالف رأيهم وقال: «لا يكونون أجرأ على الموت منا» وارتكب هذا القائد المسلم خطأ بمخالفة رأي الشورىٰ، وأطاعه جنده ولم يعصوه وأعد الجسر للعبور، وعبر المسلمون إلى شرق الفرات، وبدأت المعركة ودارت رحى الحرب وماجت الأرض بالمقاتلة، وأبلى المسلمون بلاءً حسنا، وصافحوا أعداءهم بالسيوف، ولكن خيلهم نفرت من الفيلة، فترجل أبو عبيد

والمسلمون وأخذوا يضربون الفيلة وقطعوا وضنها فسقط من عليها من الرجال، وقتلوا، وكان الفرس قد قدَّموا أمامهم فيلاً عظيماً أثخن في المسلمين فتقدم له أبو عبيد وضربه بسيفه ضربة قطعت ذلَّومه فحمي الفيل وصاح صيحة عظيمة وقذف بأبي عبيد ثم وقف عليه برجليه فقتله من ساعته ــ رحمه الله ـ وهكذا قتل قائد المسلمين وتولى من بعده سبعة قادة كلهم يقتلون، حتى تسلَّم الراية المثنى ابن حارثة فعزم على التراجع بالمسلمين لحماية من بقي منهم، وعقد الجسر ووقف عليه وقال للناس «على هِنّتِكم فإني واقف على فم الجسر لا أجوزه حتى لا يبقى منكم أحد هنا» وأشرف على عبور المسلمين جميعًا ثم سار بهم إلى معسكرهم.

وهكذا انكسر المسلمون وقتل منهم عدد كبير حتى انبرى هذا القائد الشجاع فأنقذ البقية الباقية منهم وأصبح منذ ذلك الوقت قائدًا للجيش الإسلامي في العراق، ووصل الخبر إلى عمر رضي الله عنه فحزن حزنًا شديدًا ولكنه لم ييأس، واستقبل الفارين إلى المدينة ولم يؤنبهم، بل قال لهم: أنا فيئكم، وأخذ يعد العدة للثأر من الفرس واسترداد هيبة المسلمين في العراق، والمثنى في موقعه ينتظر المدد استعدادًا لمعركة البويب وكان أول أعمال المثنى ـ رحمه الله ـ حينما تولى القيادة طلب المدد والمساعدة من بقية الأمراء في العراق فبعثوا إليه بالإمداد، كما أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمده بمدد كثير جلُّهم من بَجيلةَ وفيهم جرير بن عبد الله البجلي وغيره من سادات المسلمين حتى كثر جيش المثنى وتقوى بهم.

سمع أمراء الفرس بمقدم هذه الجموع وكثرة جيوش المثنى فبعثوا جيشًا آخر بقيادة مهران والتقى الجمعان في مكان يقال له البويب قرب موقع الكوفة لا يفصل بينهم إلا نهر الفرات، وأرسل مهران إلى المثنى يقول له: إما أن تعبروا إلينا أو نعبر إليكم، وكان طبيعيًا أن يطلب المثنى منهم العبور بعد الذي حدث في موقعة الجسر، فعبر الفرس وتقابل الفريقان في شهر رمضان، وعزم المثنى على

المسلمين في الفطر فأفطروا عن آخرهم ليكون أقوى لهم، وجعل يمر على كل راية من رايات الأمراء على القبائل ويعظهم ويحثهم على الجهاد والصبر. وقال لهم: إني مكبرٌ ثلاث تكبيرات فتهيأوا، فإذا كبرت الرابعة فاحملوا، فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول، فلما كبر أول تكبيرة عاجلتهم الفرسُ فاقتتلوا قتالاً شديدًا، ورأى المثنى في بعض صفوفه خللاً، فبعث إليهم رجلاً يقول: الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم لا تفضحوا العرب فاعتدلوا، وأخذ المثنى ينادي فيهم ويقول: «يا معشر المسلمين، عاداتكم انصروا الله ينصركم» وأخذ المسلمون يدعون له بالظفر والنصر.

واشتد القتال بين المسلمين وعدوهم، وكانت الحرب في هذه الوقعة أشد ما صادفه المسلمون لكثرة عدوهم، ولما طالت مدة الحرب جمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه ثم حمل غلام على مهران فقتله، وانهزمت جموع الفرس إلى الجسر يريدون النجاة، لكن المثنى قطعه فعادوا للقتال فقتل منهم عدد كبير وغرق في النهر آخرون، وقد ندم المثنى رحمه الله ورضي عنه بعد ذلك لقطعة خط الرجعة على عدوه ودفعهم إلى القتال.

وهكذا انتصر المسلمون في هذه المعركة وبلغ عدد قتلى الفرس عشرات الآلاف، وغنم المسلمون مغانم كثيرة، وبعثوا البشارة والأخماس إلى الخليفة رضي الله عنه، وعد كثير من المؤرخين هذه المعركة من المعارك الكبرى في التاريخ الإسلامي، وشبهها ابن كثير رحمه الله بمعركة اليرموك في الشام لما ترتب عليها من آثار ونتائج مهمة فقد ذلت لهذه الوقعة رقاب الفرس وتمكن المسلمون من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات ودجلة لما وقع في قلوبهم من الرعب والخوف، ورجعت بلاد العراق للمسلمين، ووصلت بعض الفرق الإسلامية إلى قرب المدائن نفسها ولم تجد مقاومة واستولت فرقة على بغداد وكانت إذ ذاك قرية صغيرة، كما استولت أخرى على تكريت شمال العراق.

وفي هذه الموقعة يقول الأعور الشني العبديُّ .

هـاجت لأعــور دار الحي أحـزانـا   واستبدلت بعد عبـد القيس حسانا

وقــــد أرانــــا بها والشمـل مجتمع   إذ بـــالنحيلـة قتلى جنــدُ مهـرانــا

إذ كـان سـار المثنـى بـالخيـول لهم   فقتّل الـزحف من فـرس وجيـلانـا

سما لمهــران والجيش الــذي معــه   حتى أبــــادهمُ مثنى ووحـــدانــا

والحقيقة أن قـائد المسلمين المثنى بن حـارثة الشيبـاني قد أبلى في ذلك اليـوم بلاءً حسنًا رغـم أنه كـان يعاني من جـرح أصابـه يوم الجسر، وكـان لأعماله البطـولية وتشجيعـه للمسلمين أبلغ الأثر على نفـوسهم، وكـان يهون عليهم أمر الفـرس ويقول عنهم: «لقـد قاتلت العرب والعجم في الجاهليـة والإسلام والله لمائة من العجم في الجاهلية كـانوا أشد عليَّ من ألف من العرب، ولمائة اليـوم من العرب أشـدُّ عليَّ من ألف مـن العجم إن الله أذهب مصـدوقتهم ووهَّن كيــدهم فـلا يروعنَّكم زهاءٌ ترونه ولا سوادٌ، ولا قسيٌّ مج ولا نبال طوال فإنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوهـا كالبهائم أينما وجهتموهـا اتجهت» وقد صدق رضي الله عنه فقـد أعزَّ الله العـرب بالإسـلام، وقد كـانوا قبلـه أذلـة للفرس والـروم، وحركتهم عقيـدة الإسلام فأصبحوا سادة الأرض وحكامها يقودون الإنسانية إلى الخير والرشاد .

وبعد هذه المعـركة بأيام انتقض جرح المثنى فمات رحمه الله ورضي عنــه، وقد كان ينتظر وصـول الجيش الإسلامي الكبير بقيادة سعد بن أبي وقـاص فرضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين، ورحم الله المجاهدين المسلمين وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء، ووفق المسلمين للاقتداء بهم والسير على منوالهم .

المصادر:

١ ـ ابن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ ٤ ص ٧١ وما بعدها، دار الفكر، بيروت .

٢ ـ أبـو العباس البـلاذري: فتوح البلدان ص ٣٥٣، تحقيـق عبد الله وعمر الطبـاع، مؤسسـة المعارف، بيروت .

٣ ـ عز الدين ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٣٠٣ وما بعدها، دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٤ ـ الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٨ ص ٢٩ .

obeikandl.com

فتح النوبة ومعاهدة البقط
سنة ٣١ هـ

سينقلنا الحديث إلى منطقة من مناطق المسلمين لنتعرف على بداية دخول الإسلام لها بعد معركة من معارك المسلمين العظيمة تمخضت عن عهد كان له عظيم الأثر في انتشار الإسلام في تلك البقاع.

أما المنطقة فهي بلاد النُّوبة الواقعة جنوب مصر، وأما قائد هذه المعركة فهو الصحابي الجليل عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

بدأت علاقة المسلمين بهذه المنطقة بعد فتح مصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه، فقد أرسل حملة إلى بلاد النوبة بقيادة عقبة بن نافع الفهري رحمه الله فدخل تلك البلاد، ولقي المسلمون قتالاً شديدًا، حيث كان النوبيون يجيدون الرمي بالسهام فرشقوهم بالنبل حتى جرح عامتهم، فانصرف المسلمون وقد فقئت حدق الكثير منهم من جراء النبل ولذا سموهم «رماة الحدق»، وتمخض عن هذه الحملة عقد صلح بينهم وبين المسلمين تقررت من جرائه الهدنة.

وظلَّ الوضع على ذلك حتى تولى ولاية مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فنقض النوبيون الصلح وهاجموا صعيد مصر وأفسدوا فيه، فخرج عبد الله بن أبي سرح بجيش تعداده عشرون ألفا وتوغل في بلادهم جنوبا ووصل عاصمتهم دنقلة فحاصرها حصارا شديدا ورماها بالمنجنيق وضيق على أهلها حتى اضطروا للتسليم، وطلب ملكهم «قليدور» الصلح، وخرج إلى عبد الله بن أبي سرح، وأبدى ضعفا ومسكنة وتواضعًا فتلقاه عبد الله وقرر الصلح معه وعقدت بين الجانبين معاهدة فريدة من نوعها، كان لها عظيم الأثر على عملية انتشار الإسلام في شرق القارة الإفريقية، وكان ذلك في شهر رمضان من سنة احدى وثلاثين هجرية.

وجاء في هذه المعاهدة:

«عهدٌ من الأمير عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته: عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة، من أرض أسوان إلى حد أرض علوة أن عبد الله جعل لهم أمانًا وهدنة:

إنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد ﷺ أن لا نحاربكم، ولا نَنْصُبَ لكم حربًا، ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التي بيننا وبينكم».

ثم يعدد العهد الشرائط تلك ومنها:

ـ عليكم حفظ من نزل بلادكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم.

ـ وعليكم ردَّ من لجأ إليكم من مسلم محارب للمسلمين وأن تخرجوه من بلادكم.

ـ وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم، ولا تمنعوا منه مصليا، ولا تعرضوا لمسلم قصده وجاور فيه إلى أن ينصرف عنكم، وعليكم كنْسه وإسراجه وتكرمته.

ـ وعليكم في كل سنة ثلاثمائة وستون رأسًا تدفعونها إلى إمام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم.

علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد ﷺ ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به... الله الشاهد بيننا وبينكم. وكتب عمر بن شرحبيل في رمضان سنة إحدى وثلاثين هجرية.

هذا هو عقد الصلح الذي تم بين المسلمين وبين النوبة، وإذا نحن تمعنَّا في بنوده وجدناها عوامل مهمة لنشر الإسلام في تلك البلاد.

ولربما كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد أدرك صعوبة فتح تلك المناطق لوعورة تضاريسها ولشدة أهلها في القتال، فأراد أن يوفر بهذه المعاهدة مناخًا مناسبا لانتشار الإسلام بصورة سلمية.

ولقد حصل هذا فعلاً فظلت المعاهدة أساسا للعلاقات بين المسلمين وبين النوبة حتى انتشر الإسلام فيها، وأصبحت بذلك جزءًا من العالم الإسلامي،

ولنعد إلى بنود المعاهدة لنرى أثرها في ذلك .

كان من أول الشروط التي اشترطها عبد الله رضي الله عنه حفظ من دخل النوبة من المسلمين وهو بهذا يضمن سلامة الدعاة المسلمين، وكذلك التجار، فيدخلون إلى تلك المناطق، ويقومون بدعوة أهلها إلى الإسلام دون عوائق . حيث إنهم تحت حماية الدولة الإسلامية، ولو كانوا خارج حدودها في بلاد النوبة . واستفاد الدعاة من هذا الشرط، وتوغلوا في تلك البلاد حتى وصلوا الحبشة وأواسط السودان الحالية، واستطاعوا تحويل أهلها إلى الإسلام .

ومن الشروط كذلك : حفظ المسجد الذي بني خارج عاصمة النوبة دنقلة بل واشترط عليهم كنسه وإسراجه وتكرمته وعدم منع المسلمين من الصلاة أو الإقامة فيه .

وهكذا ضمنت هذه المعاهدة بقاء مركزٍ للدعوة الإسلامية في تلك البلاد النصرانية، ذلك أن المسجد هو منطلق الدعوة ومركزها، وكان أول عمل يقوم به الدعاة هو بناء المساجد ومن ثم تبدأ الدعوة منها، ولازال المسجد يقوم بدور كبير في القارة الأفريقية حتى الآن، بمعنى أنه يؤدي وظيفته الحقيقية . وقد ظلَّ مسجد دنقلة الذي بناه المسلمون منذ سنة إحدى وثلاثين هجرية فترة زمنية طويلة يؤدي رسالته في الدعوة الإسلامية، ويؤمه الدعاة من مختلف أقطار العالم الإسلامي فيستقرون فيه أو حوله ويدعون الناس إلى الإسلام مما كان له عظيم الأثر في تحطيم الوجود النصراني والقضاء عليه .

وفي الشرط الأخير من شروط المعاهدة تعهد النوبيون بدفع ثلاثمائة وستين رأسًا من الرقيق إلى والي المسلمين، ولقد كانت النوبة منذ القدم تشتهر بتصدير هؤلاء الرقيق فرأى قائد المسلمين عبد الله بن سعد بن أبي سرح أن يستأثر بهؤلاء الرقيق للدولة الإسلامية، فإذا سُلِّموا للمسلمين أصبحوا مماليك دولة لا رقيق أفراد، وينتج عن ذلك عدد من النتائج :

فهؤلاء يتحولون إلى الإسلام وينقذون من الكفر والضلال لأنهم في الأصل إما من

النصارى أو الوثنيين، ولذلك فقد قال أحدهم لتاجر أوروبي لقيه في مصر: إننا في الحقيقة لا نأتي من الحرية للرق، بل إننا نأتي من الرق الحقيقي والعبودية للبشر لنصبح أحرارًا بالإسلام، وقد كان لهؤلاء بعد إسلامهم شأن في الدولة الإسلامية فكان منهم الجند والوزراء بل والولاة أحيانا، وبعض هؤلاء يؤثر العودة إلى موطنه بعد إسلامه فيعود إليها داعيًا للإسلام، وهكذا فلم يمض القرن الثامن الهجري حتى أصبحت بلاد النوبة كلها بلادًا إسلامية وأهلها قد اعتنقوا الإسلام، وذلك بطريقة سلمية جراء تأثير بنود هذه المعاهدة، وفي هذا ما يدحض تلك الفرية التي طالما ردَّدها الغربيون وتلامذتهم وهي أن الإسلام لا ينتشر إلا بالقوة والسف.

رضي الله عن عبد الله بن أبي سرح الذي مهَّد الطريق لنشر الإسلام في تلك البقاع.

المصادر :

١ ـ ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص ١٨٨ الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٢ ـ البلاذري: فتوح البلدان ص ٣٣١.

٣ ـ أبو الحسن المسعودي: مروج الذهب جـ ١ ص ٤٤١ دار الأندلس، بيروت

٤ ـ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ١ ص ٢٠٠، القاهرة ١٢٧٠ هـ.

فتح الأندلس
سنة ٩٢ هـ

سيكون حديثنا عن معركة عظيمة من معارك المسلمين، أما ميدانها فهو شبه جزيرة أيبريا، التي عرفت فيما بعد باسم الأندلس، وأما قائدها فواحد من أبطال الإسلام الأفذاذ، بربري من أفريقيا، أكرمه الله بخدمة هذا الدين ونشره، فوهب له حياته وعمره، فكان فتح الأندلس على يديه وحاز ثواب الدنيا بالنصر المكين، وسينال أجر الآخرة ــ إن شاء الله ــ لدى أحكم الحاكمين، إنه القائد المظفر طارق بن زياد رحمه الله.

بدأ التفكير في فتح الأندلس بعد أن أتم المسلمون فتح بلاد المغرب على يد القائد المسلم موسى بن نصير، فقد استطاع هذا القائد أن يدعِّم الوجود الإسلاميَّ في المغرب الأقصى، كما أنه قام بدور كبير في تعليم الناس هذا الدين وتفقيههم فيه، فكان يجمع إلى جانب القيادة العسكرية صفة الداعية المسلم.

وبهذا الفتح لبلاد المغرب دخل البربر في دين الله أفواجًا وأصبحوا هم أيضًا من الدعاة له والمجاهدين في سبيله، واتجهت أنظارهم إلى الشمال حيث شبه جزيرة أيبريا التي تمثل المدخل الجنوبيَّ لأوروبا. ولم يكن والي أفريقية المسلم موسى بن نصير ليقدم على عمل عظيم مثل هذا دون أن يستشير الخليفة الأمويَّ، الوليد بن عبد الملك في دمشق، فأرسل إليه يستأذنه، فتردد الخليفة وخاف على المسلمين مغبَّة خاطرة كهذه في أرض مجهولة، ولذا أمر موسى بنَ نصير بإرسال سرية صغيرة إلى بلاد الأندلس لاختبار الأوضاع قبل إرسال الجيش الإسلامي.

واستجاب موسى لأمر الخليفة واختار واحدًا من كبار رجاله لتنفيذ هذه المهمة وهو طَرِيف بن ملوك، فعبر إلى الأندلس في أربعة مراكب بقوة عددها مائة فارس وأربعمائة راجل، وكان ذلك في شهر رمضان من سنة إحدى وتسعين

هجرية . ونزل المسلمون في الموضع الذي قامت فيه بعد ذلك بلدة تحمل اسم هذا القائد طريف . ومن هذا الموضع قام المسلمون بسلسلة من الغارات السريعة على الساحل غنموا فيها مغانم كثيرة وسبيًا عديدًا ، وعادوا بعد ذلك إلى آفريقية وبعثوا بالأخبار إلى موسى في القيروان فتشجع عندئذ ، وأخذ يستعد لإرسال حملة كبيرة تقوم بالفتح الحقيقي لتلك البلاد .

ندب موسى لهذا العمل الجليل رجلاً من خيرة جنده هو طارق بن زياد الذي تشير أكثر الروايات إلى أنه من البربر وأن والده زيادًا قد اعتنق الإسلام ، فنشأ ابنه طارق مسلمًا متدينًا محبًا للجهاد دخل في خدمة ولاة المسلمين ، فعهد إليه موسى بهذه المهمة ، وكان إذ ذاك شابًا يافعًا مقربا لموسى ، يثق فيه كثيرا ولذا أسند له هذه المهمة الخطيرة وتعدى غيره من القادة .

تكوَّن الجيش المسلم الذي سيعبر إلى الأندلس من البربر ، واشتهروا بالشجاعة الفائقة ، وقد حولهم الإسلام إلى مجاهدين في سبيل الله بعد أن كانوا يستغلون مزاياهم الحربية في قتال بعضهم ، وفي النهب والسلب ، وبدأ العبور في رجب من سنة اثنتين وتسعين للهجرة ، ولم يتيسر للمسلمين إلا أربع سفن قدمها لهم دليلهم يليان ، ولذا كان لا بد من العبور على دفعات ، وأن يستخفي العابرون الألون عن أهل الشاطئ حتى يكتمل عبور الجيش .

وتم عبور المسلمين للمضيق ، وتجمع الجيش الإسلامي عند الجبل الذي عرف فيما بعد بجبل طارق ، واجتهد طارق في تحصين هذا المكان تحصينا قويًا حتى يحتمي به المسلمون إذا حدث ما لا يتوقعونه .

وقد أشار بعض المؤرخين المتأخرين إلى أنَّ طارقًا قد أحرق السفن التي عبر بها ليدفع جنده إلى الاستماتة في القتال ، والحقيقة أن المحققين من المؤرخين قد استبعدوا هذه القصة وعدوها من المبالغات التي لم يكن لها أصل من الواقع .

ومهما يكن الأمر فقد بدأت الفرق الإسلامية تغير على المناطق القريبة من جبل طارق واستولت على الجزيرة الخضراء قبالة جبل طارق وبذلك أصبح

مضيق جبل طارق كله في يد المسلمين، وبذا أمّن طارق مركز الجيش الإسلامي وطرق مواصلاته مع أفريقيا.

وعلم ملك القوط لُذَرِيقْ بخبر المسلمين فبدأ يستعد لملاقاتهم، وأرسل فرقة من جيشه بقيادة بَنْح لمهاجمة المسلمين في معقلهم، إلا أن المسلمين قضوا على هذه الفرقة، ولم ينج منها إلا رجل واحد، عاد مسرعا إلى معسكر لذريق ليخبره بذلك، عندئذ سار لذريق نحو الجنوب، واستولى على قرطبة، ثم سار بجيشه جنوبًا لصدِّ المسلمين، فلما وصل إلى شذونة عسكر في سهل البرباط استعدادًا للمعركة الفاصلة.

أما المسلمون فقد سار بهم طارق بن زياد ـ رحمه الله ـ بحذاءِ الساحل ثم اتجه شمالا قاصدًا قرطبة عاصمة إقليم «بيطي» حتى وصل نهر البرباط فتوقف عنده، وبعث عيونه يتجسسون أخبارَ لذريق، فعلم بمقدمه إلى تلك المنطقة، كما عرف حجم جيشه الكبير والذي يصل تعداده إلى مائة ألف أو يزيد، معظمهم من الفرسان، وهنا أدرك طارق عظم الفارق العددي بين الجيشين، وخشي أن يؤثر ذلك في جنده، فأرسل إلى موسى بن نصير يطلب منه المدد، فعجَّل موسى بإرسال خمسة آلاف من خيرة جنده يقودهم القائد الذي عبر إلى الأندلس أول مرة طريف بن ملوك، وكان جلهم من العرب، ووصلوا قبل اللقاء الحاسم فقويت بهم نفوس المسلمين.

وكان لِحُسْن المعاملة التي لقيها أهل البلاد من المسلمين أثر في انضمام أعداد منهم إليهم فاستفاد المسلمون من معرفتهم بالبلاد وأهلها، كما أن بعض قادة لذريق قد عزم على الانضمام للمسلمين وقتَ المعركة.

وهكذا استعد الجانبان للقتال، وتقدمت فرقة من جيش لذريق لاختبار قوة المسلمين، وما أن رآهم المسلمون حتى انقضوا عليهم فولوا هاربين يصفون لقائدهم بأس المسلمين وشجاعتهم.

وفي يوم الأحد الثامن والعشرين من رمضان سنة اثنتين وتسعين للهجرة

اشتبك الجيشان في معركة حمي وطيسها طوال ذلك اليوم، وفي اليوم الثاني أظهرت فرقة السودان الذين جعلهم طارق مقدمة لجيشه مقدرة عظيمة على التصدي لفرسان القوط النصارى، وثبت المسلمون في القتال على الرغم من أن جلهم كان من الرجالة بينما كان غالب القوط من الفرسان، وانضم للمسلمين عدد من أعدائهم تشفيا من لُذريق واستمرت المعركة ثمانية أيام، وفي النهاية وقعت الفوضى في جيش لذريق واضطرب نظامه، ولاذ من بقي منه بالفرار وأسياف المسلمين في أقفيتهم فقتل منهم عدد عظيم، ولم يعثر لقائدهم على أثر، وأصاب المسلمون من هذه الموقعة غنائم لا تحصى لعلَّ من أهمها الخيل التي يفتقرون إليها، حتى لم يبق منهم راجل.

وفي هذه المعركة الحاسمة استشهد من المسلمين ثلاثة آلاف، وبقي منهم خمسة آلاف زادهم النصر حماسة وإقداما، فأسرع بهم طارق نحو قرطبة.

وهكذا انتصر المسلمون بإيمانهم وعقيدتهم على عدو يفوقهم عددًا وعدة، وأصبحت كل بلاد الأندلس تنتظر حكم المسلمين، والمسألة وقت فقط حيث تتهاوى المدن في يد المسلمين.

لقد أثبتت هذه المعركة حرص المسلمين الأوائل على نشر دينهم لا فرق بين عربي أو بربري أو زنجي، فقد اتحد الجميع في جيش واحد، ولتحقيق هدف واحد هو إيصال دين الله إلى العالمين.

وكان لهذا الانتصار الإسلامي الكبير على النصارى أثر كبير في بلاد المغرب، فزفت البشرى إلى هناك «وتسامع الناس من أهل بر العُدْوَة بالفتح على طارق بالأندلس، . . . فأقبلوا نحوه من كل وجه، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقُشْر، فلحقوا بطارق، وارتفع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال».

وسار طارق بالمسلمين حتى وصل مدينة شَذُونة، فحاصرها حتى أنهك أهلها وفتحها عنوة، ثم سار إلى مدينة إِسْتِجة وفيها فلولُ جيش لذريق فقاتلوا

المسلمين قتالاً شديدًا، حتى كثر القتل والجراح في المسلمين، ثم أظهر الله المسلمين عليهم، فهزموهم، وقد أسر طارق حاكمها بنفسه، وصالحه على الجزية، وفي هذه المدينة وجد طارق ــ رحمه الله ـ أن جيشه قد تضخَّم لكثرة المجاهدين الذين يعبرون من المغرب، وأدرك صعوبة السير به كله، فعمد إلى تفريقه مع الأمراء والقادة لفتح المدن الأخرى.

فأرسل مغيثًا الروميَّ بفرقة إلى قرطبة ففتحها واستولى عليها.

وأرسل فرقة إلى مالقة وأخرى إلى غَرْنَاطَة وهكذا.

أما هو فقد سار في بقية الجيش إلى طليطلة دار مملكة القُوطِ، فلما وصلها ألفاها خالية، وقد فرَّ عنها أهلُها، فاستولى عليها، ثم اتجه إلى جلِّيقية وفتح بعض مدنها ثم عاد إلى طليطلة.

وهكذا استطاع المسلمون فتح إقليم عظيم من أقاليم أوروبا في مدة زمنية وجيزة وبخسائر قليلة، وما ذلك إلا بعون الله وتأييده بعد أن صدقوه وأخلصوا له سبحانه وتعالى.

على أننا ونحن نتحدث عن فتح الأندلس لا نستطيع إهمال الدور العظيم الذي قام به القائد الآخر للجيش الإسلامي ووالي أفريقية من قبل الخلافة الإسلامية موسى بن نصير رحمه الله.

فقد عبر بجيش آخر تعداده ثمانية عشر ألفًا وذلك في شهر رمضان سنة ثلاثٍ وتسعين هجرية.

وهنا لا بُدَّ من الإشارة إلى أمرٍ مهم نُسبَ إلى هذا القائد المسلم، والتابعي الجليل، فقد ذكر بعض المؤرخين أنه حَسَدَ طارقًا، وأراد أن لا يرتفع ذكره، وغَمَّه ما حققه من انتصارات، وهذا في الحقيقة اتهام لا يسنُدُه دليل ولا برهان ويجب علينا أن نربأ بأولئك المجاهدين عن الضغائن والأحقاد، وقد باعوا أنفسهم في سبيل الله، وكلُّ ما في الأمر أنه أراد أن يحوز شرف الجهاد وأن تغبر قدماه في سبيل الله، ولعمري إنه ميدان التنافس الحقيقي. وهكذا عبر موسى ـ

رحمه الله ـ بجيشه في رمضان وبدأ في فتح المدن والقلاع متخذا طريقا آخر غير الطريق الذي سلكه طارق، وذلك لبعد نظره وحسن قيادته، وليس تنكُّبا لطريق طارق حسدًا له كما ذكر بعض المؤرخين، فقد أراد ـ رحمه الله ـ وقد أقبل في هذا الجيش الكبير من المسلمين أن يفتح به بلادًا لم تفتح بعد، فليس من الحكمة في شيء السيرُ به في بلاد ومدائن قد فتحت وانتهى أمرها، وليس للحسد في هذا الموضع مكان، لأن طارقًا ـ مهما كان الحال ـ مولاه وتابعه وباسمه يفتح.

وبدأ موسى في فتح المدن الأندلسية، ففتح شَذُونة، ثم فتح مدينة قَرْمُونة وهي من المدن الحصينة المنيعة، وحاصر إشبيلية حتى استسلمت بعد أن استشهد على سورها عدد من المسلمين، واستمر موسى يفتح المدن والقلاع حتى التقى بطارق قرب طليطلة، وهنا أيضا تسيء بعض المصادر التاريخية إلى هذين القائدين وتُصور موسى وقد غضب على طارق وضربه أو قيده، والحقيقة أن شيئا من هذا كله لم يحدث، بدليل تعاونهما بعد ذلك لإكمال الفتح العظيم، يقول أحد الباحثين: «الواقع أن موسى يعمل مع طارق من أول نزوله الأندلس... وقد أتم الرجلان الفتح معا على أحسن ما يكون الرجال تعاونًا، وعادا إلى المشرق فلم نسمع أن طارقا وقف يشكو موسى بين يدي الخليفة».

بل إن موسى ـ رحمه الله ـ أمر طارقا بالتقدم أمامه في أصحابه وهو خلفه في جيوشه فارتقى إلى الثغر الأعلى، وافتتح مدينة سَرَقُسْطة وأعمالها، وأوغلا في البلاد، لا يمران بموضع إلا فتح عليهما وغنَّمهما الله تعالى ما فيه، وقد ألقى الله الرعب في قلوب الكفار فلم يعارضهما أحد إلا بطلب صلح، ونصرهما الله نصرًا ما عليه مزيد، ووصلت طلائع المسلمين بلاد الإفرنج في أقصى الشمال، واستنجدوا بملك فرنسا وقالوا له: ما هذا الخزي الباقي في الأعقاب؟ كنا نسمع بالعرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها، واستولوا على بلاد الأندلس وعظيم ما فيها من العدة والعدد بجمعهم القليل وقلة عُدَّتهم.

فقال لهم ما معناه: الرأي عندي أن لا تعترضوهم في خرجتهم هذه، فإنهم كالسيل يحمل من يصادره، وهم في إقبال أمرهم، ولهم نيات تغني عن كثرة العدد وقلوب تغني عن حصانة الدروع، ولكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم، ويتخذوا المساكن، ويتنافسوا في الرياسة، ويستعين بعضهم على بعض فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر أمر، يقول أحد المؤرخين: فكان واللهِ كذلك بالفتن التي طرأت بين المسلمين بعد ذلك فصار بعض المسلمين يستعينُ على بعض بمن يجاورهم من الأعداء.

وهكذا فتح المسلمون بلاد الأندلس وقهروا القوط النصارى وكان عزم موسى ـ رحمه الله ـ أن يستمر بالفتوح عبر وسط أوروبا حتى القسطنطينية وأن يفتح طريقًا جديدًا بين الشام والأندلس، ولكن أوامر الخلافة وصلته تستدعيه على عجل هو وطارق، واستجاب ولم يخالف، وعاد إلى الشام ليلقى الخليفة سليمان ابن عبد الملك ويبقى عنده في الشام، حتى توفاه الله وهو في طريقه للحج ـ رحمه الله ـ أما طارق، فكما بدأ بداية مجهولة، فقد انتهى نهاية مجهولة، فلم تذكر المصادر له ذكرا بعد ذلك، وماذا يضيره ـ رحمه الله ـ إذا لم يذكره العالمون، فإنه مذكور إن شاء الله بجهاده عند ربِّ العالمين.

رحم الله موسى بن نصير، ورحم الله طارق بن زياد، فقد نشرا دين الله في منطقة كبيرة من أوربا، وقاما بفتوح ليس لها مثيل في ذلك التاريخ.

المصادر والمراجع:

١ ـ أبو بكر محمد بن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله الطباع، بيروت ١٩٥٧م.

٢ ـ ابن عذارى المراكشي: البيان المغربي في أخبار الأندلس والمغرب، جـ ٢ تحقيق كولان وليفي برفنسال، دار الشروق، بيروت.

٣ ـ أحمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب جـ ١ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤ ـ د. حسين مؤنس: فجر الأندلس الطبعة الأولى، ١٩٥٩م القاهرة.

٥ ـ عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

فتوح المسلمين في فرنسا
سنة ١٠٢هـ

بعد أن استقر المسلمـون في الأندلس، بدأت غـزواتهم تتجه نحو الشمال فيما وراء جبال البرانس الفاصلة بين الأندلس وفرنسا، وتولى قيادة الجيوش الإسلامية آنذاك عدد من القادة المسلمين الذين تفـرغوا للجهاد في سبيل الله فمات أكثرهم في ساحات القتال، رحمهم الله.

بدأت الفتوح في تلك المناطق في عهد عبـد العزيز بن موسى بن نصير، الذي تولى الأندلس بعد رحيل والده، ولم تحدد المصادر التـاريخية مدنًا أو نوحي معينة فتحها. وتوالى الولاة على الأنـدلس حتى إذا تولى السَّمح بن مالك الخولاني اتجه نحو الجهـاد في جنوب فـرنسا، والحقيقـة أن هذا الـوالي كان من أفـاضل عربِ أفريقية، ولاه الخليفة عمر بن عبد العزيز ولاية الأندلس لما عرف عنه من الأمانة وحسن الخلق وذلك في شهر رمضـان سنة مائة هجرية وطلـب منه تنظيم البلاد وضبط أموالها، فسار في ذلك سيرة حسنة.

وفي عهـده نشطت حـركـة الفتـوح فيما وراء جبـال البرانس، الفـاصلـة بين الأندلس وفرنسـا، لأنه كان رجلا وثيق الإيمان جمَّ النشـاط، فانطلق بجيشه في عـام اثنين ومائة وفتح إقليم «سبتمانيـا»، وهي المنطقـة السـاحلية التي تمتـد من البرانس غـربًـا إلى مصبِّ نهر الـرون شرقًـا، وتتصل بما يعـرف اليـوم بـالـريفيرا الإيطالية. كما أنها تُطلُّ على البحـر الأبيضِ جنوب فرنسا، وكـانت تشمل سبعة أقسام إدارية وعاصمتها «أربونة»، وقـد استولى السمح على هذه العاصمة بعد شهر من الحصـار، واتخذها مركـزًا وقاعدة لعملياتـه الحربية في فرنسـا، ولا يزال يوجد بهذه المدينة شارع ينسب إليه ويعرف بشارع السمح.

انطلق السمح بعد ذلك يفتح كل المدن التي بطريقـه حتى وصل إلى طُولوشة عاصمة أكويتانيا فحاصرها، غير أنها قاومت الحصار، حتى وصلتها الإمدادات

وعلى رأسها حاكم الإقليم الدوق أود الفرنجي، فتجمع للنصارى جيش كبير يفوق جيش المسلمين عددًا وتجهيزا، فوقف السمح في جنوده يحمِّسهم ويشد من أزرهم ويقرأ قول الله تعالى: ﴿**إن ينصركم الله فلا غالب لكم**﴾ [١٦٠ آل عمران] وحدثت معركة عنيفة بين المسلمين والنصارى أواخر سنة اثنتين ومائة هجرية، واشتد القتال بين الجانبين وصبر المسلمون صبرًا كريمًا، وأصاب قائدهم سهم قاتل فاستشهد في يوم عرفة، وفتَّ ذلك في عضد الجند فتراجعوا عن طولوشة واستطاع واحد من قادته وهو عبدالرحمن الغافقي الارتداد بهم إلى أربونة بعد أن قتل منهم عدد كبير.

خلف السمح على ولاية الأندلس عنبسة بن سُحيم الكلبي، وواصل الغزو في فرنسا الجنوبية، فسار على الساحل حتى وصل إلى «قرقشونة» فحاصرها وشدد عليها الحصار حتى نزل أهلُها على شروطه، فتنازلوا له عن البلد ونصف الإقليم المحيط به، وتعهدوا بردِّ أسرى المسلمين الذين كانوا عندهم، وبأن يدفعوا الجزية، ويلتزموا بأحكام أهل الذمة من محاربة من حاربه المسلمون ومسالمة من سالموه، وأخذ منهم عنبسة بعض الرهائن وأرسلها إلى برشلونة.

وواصل عنبسة ـ رحمه الله ـ سيره، ووجد الطريق أمامه خالية، فسار مسرعًا دون أن يلقى مقاومة، وصعد حتى أدرك نهر الساءون فاستولى على أوتون، واستمر في زحفه الظافر فقذف الله في قلوب الكفار الرعب فلم يتصد أحد منهم للمسلمين إلا لطلب الصلح، واجتاح المسلمون مدينة أوزه، وفيين، وفالنسي ووصلوا إلى مدينة ليون التي يسميها العرب «حصن لودون»، كذلك زحفوا على مدينة ماسون، وشالون، ووصلوا إلى مدينة «سانس» عاصمة إقليم «يوند» على بعد ثلاثين كيلومترًا فقط جنوبيّ باريس، وقد تصدت هذه المدينة للزحف الإسلامي فكانت آخر ما وصل إليه المسلمون.

ويبدو أن القائد المسلم عنبسة بن سُحيم قد أدرك بعد هذا التقدم الظافر الذي جعله يقترب من باريس أنه توغل في قلب فرنسا أكثر مما ينبغي، فقد

طالت خطوط العودة فخشي أن تقطع عليه بعد أن ابتعد مسافة ألف ميل شمالي قرطبة، كما أن أحوال الأندلس قد بدأت تتغير بظهور العصبيات المختلفة، مما دعاه إلى العودة بعد هذا النصر العظيم.

وقد أثارت هذه الفتوح المخاوف في نواحي فرنسا، وارتاعت معظم الدوقيات وشعرت مملكة الفرنج أنها أمام خطر حقيقي، وبدا واضحا أن الحملة المقبلة ستكون حملة حاسمة.

والحقيقة أن أحوال الأندلس في ذلك الوقت قد أثرت كثيرًا على هذه الفتوح الإسلامية، ولولاها لما توقف عنبسة عن فتوحه الموفقة تلك. وفي طريق العودة داهمت جيشَ المسلمين جموع كبيرة من الفرنجة وجرح عنبسة بجروح بليغة توفي على إثرها في شهر شعبان سنة سبع ومائة هجرية، بعد أن نشر الرعب في نواحي فرنسا ووصل برايات الإسلام إلى قلب أوروبا الغربية، وكفاه ذلك فخرًا حيث لم يدرك هذا الشأو بعد ذلك قائد مسلم آخر.

وهناك أمران يحسُن أن نقف عندهما وقفة سريعة:

أما الأول فهو ما ورد في بعض الكتب الغربية التي كتبت عن هذه الفتوح، ووصفتها بأنها غارات للتخريب والتدمير، ونسبت للمسلمين حرق بعض الكنائس والأديرة.

وهذا في الحقيقة لا يُسنده دليل ولا برهان، لأنه بمقارنة المسلمين بالشعوب التي كانت تسود فرنسا في ذلك الوقت من فرنج وقوط غربيين وشرقيين وغيرهم يتبين أن المسلمين كانوا أعظمهم حضارة وأبعدهم عن النهب والتدمير، ومهما بحثنا في مصادر ذلك العصر، فلن نجد بين من ظهروا على مسرح الحوادث فيه رجالاً نستطيع مقارنتهم بالسمح بن مالكٍ أو بعنبسة، رحمهما الله.

وقد فتح المسلمون قبل ذلك مصر وأفريقية والأندلس، وكلها غاصة بالكنائس والأديرة فما نقل عنهم أنهم دمروا أو خربوا شيئا منها، فمن العجب

أن ينقلب حالهم بعد عبورهم إلى فرنسا فيتحولوا إلى همج مخربين، إنه لزعم باطل لا يدفعه إلا حقد دفين.

وأما الأمر الثاني: فيتعلق بأحوال المسلمين في الأندلس، وكيف أثرت فرقتهم واختلافهم على هذه الفتوح فتسببت في توقفها، إن المسلمين لن ينتصروا ولن يظهروا على عدوِّهم إلا بالاتحاد والتآزر والتعاون، والتاريخ أمامنا كتاب مفتوح فهل نقرأ فيه؟ بل هل نتعظ بعد القراءة؟ لقد كانت فتوح ترتفع لها هامات المسلمين عزًّا وكبرياء، حركها إيمان بالله، وتمسُّك بشرعه وتطبيق لمنهجه في الحياة، فكان عاقبتها النصر والتمكين في الأرض. وهذه سنة الله سبحانه وتعالى أوضحها في كتابه المجيد.

المصادر والمراجع:

١ ـ المقري: نفح الطيب جـ ١.

٢ ـ حسين مؤنس: فجر الأندلس.

٣ ـ أحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس.

٤ ـ إبراهيم علي طرخان: المسلمون في أوروبا.